



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



الفلسفة ورفع التحديات الأخلاقية المعاصرة

Philosophy and Raising Contemporary Moral Challenges

حيدر العايب¹

¹جامعة محمد لمين دباغين، سطيف- الهضاب، مخبر المجتمع الجزائري المعاصر، الجزائر.

Key words:

crisis of values
moral juncture
applied ethics
contemporary deontology.

Abstract

This article falls within the philosophy of contemporary values. It traces the manifestations of the ethical challenges facing our world today on many levels; Thought and practice, local and universal, human and environmental, the roots of all these crises go back to a "crisis of values". Explaining the role of philosophy in the face of these challenges in formulating new ethical principles to raise these ethical challenges, especially after the demise of classical moral philosophies. This is demonstrated by the urgent return to the question of ethics, which has undoubtedly become one of the core concerns of contemporary human beings, individuals, institutions and governments. It has been embodied in global demands from governmental and non-governmental organizations for the need to formulate ethical laws for scientific, commercial and political human practices in the field of human rights and the environment.

The new type of morality is distinguished by being a non-theoretical and non-metaphysical morality, then it is not formulated in the form of moral orders as much as it represents legislation for action, and its source is immanent and is not separated, as it is mostly from the establishment of "scientific committees".

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2022/02/27

القبول: 2022/03/31

الكلمات المفتاحية:

أزمة قيم

المنعطف الأخلاقي

استدعاء الأخلاق

الديونولوجيا

المعاصرة.

هذا المقال يندرج ضمن فلسفة القيم المعاصرة، فهو يتتبع مظاهر التحديات الأخلاقية التي تواجه عالمنا اليوم على كم من صعيد؛ الفكر والممارسة، المحلي والكوني، الإنساني والبيئي، حيث جذور تلك الأزمات مجتمعة تعود إلى "أزمة قيم"، وتبيان دور الفلسفة إزاء تلك التحديات في صياغة مبادئ أخلاقية جديدة لرفع تلك التحديات الأخلاقية خاصة بعد أفول الفلسفات الأخلاقية الكلاسيكية. ذلك الذي تترجمه العودة الملحة لسؤال الأخلاق، الذي استحال ولاشك من صلب اهتمامات الإنسان المعاصر أفرادا ومؤسسات وحكومات، تجسدت في مطالب عالمية من منظمات حكومية وغير حكومية بضرورة صياغة قوانين أخلاقية للممارسات الإنسانية العلمية والتجارية والسياسية وفي مجال حقوق الإنسان والبيئة.

إلا أن هذا الاهتمام بالأخلاقية لا يعني ضرورة العودة إلى الأخلاق الكلاسيكية، والتي كان مصدرها إما الدين أو العقل أو المجتمع. بل الأمر سيعرف نمطا جديدا من الأخلاقية؛ وهي فيما يعرف بـ "الأخلاق التطبيقية"، تتميز في الغالب بأنها أخلاق غير نظرية أي غير ميتافيزيقية، ثم أنها لا تصاغ في شكل أوامر أخلاقية بقدر ما تمثل تشريعات للعمل، ثم أن مصدرها محايث غير مفارق فهي الغالب من وضع "لجان علمية" مشتركة.

1- مقدمة

نسف كل إمكانية للتفكير في أحكام أخلاقية موضوعية، ومقاييس وأسس أكثر رصانة لتحديد قيمتي الخير والشر، فالنزوع "إعطاء علم الأخلاق اتجاهها جديداً أملت قبل كل شيء بواسطة التغييرات الجديّة في الوعي الأخلاقي وسلوك الناس الذي كان انعكاساً لأزمة النظام الرأسمالي العامة والمُستفحلت" (شفارتز، 1986، ص 11، 12).

■ الوضع العالمي الراهن جعل البعض يستدعي مفهوم الأزمة، هيكلية هذه الأزمة بأربعة أبعاد: البعد الاقتصادي والاجتماعي (عدم المساواة والفساد)، البعد الإيكولوجي أو أزمة حضارة (تعرض النظام البيئي للخطر والتشكيك الذي طال العلاقة بين الطبيعة والإنسان كأحد مخلفات الحداثة الغربية وأسس العلم الحديث)، البعد الجيو-سياسي (مع نهاية الهيمنة الأمريكية وتبلور قوى جديدة)، البعد الإيديولوجي (وذلك مع تبلور النزعات المعادية للأجانب وتقشي العنصرية). (Massiah, 2014. P 51).

■ تزايد النمو الديمغرافي وما نتج عنه من انعدام الأمن على نطاق واسع، خاصة وأن حالة اللأمن باتت ترعاها لوبيات تتعهد بمكافآت مالية لنشر العنف في أماكن معينة، في بعض الأحياء، وفي بعض المناطق من هذا الكوكب، وكأن العنف والصراعات باتت سلعة تُعمم، هذا ما يشكل على حدّ تعبير البعض بـ "نزع الإنسانية عن العالم (Déshumanisation)"، علماً بأنه لا يمكن توقيف استراتيجية التجريد هاته بمجرد سياسة التنمية وإنما ينبغي "أنسة العالم (L'humanisation du monde)" "فمن الضروري أنسنّت العالم عبر معركة هائلة لإعادة تصميم مثالي لمجتمعنا من شأنها أن تأسس لإنسانية على أسس مستدامة... يجب دفع هذا الاعتقاد في مجتمع مثالي أعيد تصميمه بحيث يكون قادراً على توجيه نسيج العلاقات الاجتماعية والتعاون بين الأفراد دونما اللجوء إلى تعزيز الوهم بالنمو الدائم" (Humbert, 2014. p68). في مطالب مماثلة ينبغي "استرجاع سحر العالم (réenchantement du monde)". أو "تجميل العالم" (esthétisation du monde).

(Voire: GRELLIER, 1994, pp 63-77).

■ اتّسع الفجوة الاقتصادية بين البلدان وكذا داخلها مع تركّز القوى الاقتصادية والسياسية بشكل غير معهود بين فئات قليلة من الناس، زيادة على التنوع الثقالي المهدهد، والصيد الإيكولوجي الجائر، وطبيعة المساهمة في خلق ظروف ملائمة للصراعات والانتفاضات، فضلاً عن الشعور المتنامي من القلق حول مستقبل كوكبنا الأرضي، فـ "الإنسانية باتت في مفترق طريق حاسم في التاريخ". كما أنّ عناصر التوازن والتكامل في العالم لا تزال أعلى بكثير من مستوى التفاهم الحالي بين البشر. هنا تأتي راهنية مبدأ المسؤولية بإعادة توسيع نطاق المسؤولية من المسؤولية الفردية في الحاضر إلى المسؤولية الجماعية في المستقبل (Sizoo, p324).

إنّ ما يشهد على الطابع المتأزم لقيمنا الراهنة هي مجموع التقلبات الآتية؛ تفكك الأيديولوجيات، زوال المعنى عن الإنسان والعالم، هشاشة العلاقات الاجتماعية والدولية، تبلور ظاهرة العولمة وقسمة العالم إلى شمال غني متقدم وجنوب فقير متخلف. زيادة على حاجة العلوم الإنسانية والطبيعة على حدّ سواء إلى توجيه أخلاقي بعدما تبين أنّ نتائج تلك العلوم جاءت على خلاف ما يُراد لها، فحلّم السيادة على الطبيعة وتحرير الإنسان استحالة إلى سيادة على الإنسان ذاته، وكرامته باتت موضع تشكيك بفعل التجارب العلمية في ميدان التكنولوجيا والبيولوجيا على نحو خاص، ناهيك عن ثورة الإعلام والاتصال ودورها في برمجة العقول على المصطنع واللامفهوم بدل الحقيقية، وتمريها لمضامين إعلامية تسهم في تجييش الوجدان والغريزة على حساب العقل ما تسبب في خلق أنماط ثقافية شاذة عن كل الالتزامات الأخلاقية والدينية وعن الأعراف والتقاليد. من تلك الأنماط تبلور الفردانية واستفحال النرجسية وطغيان الاستهلاك الفائق والنزوع نحو العنف.

الشاهد الثاني، هي تبلور مفردات على الساحة الفكرية والاجتماعية استجلبت تفكر مختلف الفاعلين والمهتمين من تلك المفردات على سبيل المثال لا الحصر؛ أزمة القيم (Crisse des valeurs)، الفوران الأخلاقي (effervescence éthique)، المنعطف القيمي (Tournant morale)، عودة إلى الأخلاق (Retour à l'éthique)، العراء أو الفراغ القيمي (le vide moral) وغيرها من المفردات التي تعكس الوعي القلق بالمسألة الأخلاقية في فضاء الفكر الإنساني المعاصر. لذلك، فالإشكال المطروح هنا؛ ماهي مظاهر الأزمة الأخلاقية الراهنة؟ وكيف أحدثت تلك المظاهر منعطفاً فلسفياً في مجال الأخلاقيات؟ ثم كيف تحاول الفلسفة اليوم التنظير لأفق ما بعد الأزمة تجاوزاً للأزمة أو وما هي أهم النظريات الأخلاقية الفاعلة في فضاء الفكر الفلسفي الراهن؟

2. مظاهر الأزمة الأخلاقية الراهنة

تكاد تجمع معظم الكتابات الأخلاقية في الفلسفة المعاصرة على أنّ الذي يبرر الحديث عن عودة الأخلاق إلى فضاء النقاش الفلسفي والميدان العملي، هي مجموعة من الاعتبارات والأسباب التي ترهن الوجود الإنساني بأسره، أكثر تلك الأسباب حداً؛

■ انحطاط القيم الأخلاقية خاصة التقليدية منها والبحث عن سبل جديدة لتطوير علم للأخلاق. من الأسئلة التي باتت تُطرح في هذا السياق، ما هي طبيعة الأحكام الأخلاقية؟ وهل يمكن أن تتمتع بأساس موضوعي؟ وما هي المقاييس الجديدة في تحديد الخير والشر، ونظراً لمعياريّتها فهل هي صادقة أم كاذبة؟ وعلى قدم هاته المسألة إلا أنّ طابع الفردانية والنسبية الذي أتى على عقل الإنسان المعاصر ووجدانه

يعد اشباع الحاجات وإنما خلق الحاجات (وبالتالي أسواق) لزيادة الأرباح (جارودي، المرجع السابق، ص ص 80، 81)، أو كوسترياديس الذي لاحظ أن المجتمعات القديمة (مجتمعات التكرار) لم تعرف نمطا من الرغبة التي لا تُقهر، أما اليوم فيمثل دخول عصر اللامحدودية في كل المجالات والرغبة في اللامتناهي، والحل في نظره هو التعلم على وضع قيود ذاتية، فرديا وجماعيا، فالمجتمع الحر حقاً هو من يتمتع بحكم مستقل ويعرف كيف يضع لنفسه حدوداً ذاتية (المرجع نفسه، الصفحات نفسها).

■ النزوع الراهن نحو العنف وتغذيته، بل وصناعته إعلامياً، وما سببه من أوضاع سياسية وأمنية واقتصادية غير مستقرة، فظواهر من قبيل الحروب والارهاب والسباق نحو التسلح وتكثيف الرقابة الأمنية والتحالقات غير المترنة هي ما باتت تطبع على المشهد العالمي الراهن، فقد كتب إزيا برلين معلقاً على هكذا وضع: "إننا نعيش في عالم يغلب عليه العنف، يستوجب الأمر فهمه، عبر القيام بمعاينة نقدية للغايات والدوافع التي ترشد السلوك البشري، واكتشاف العلاقات البشرية... كل ذلك تجعل علم الأخلاق مجالاً ذا أهمية أساسية" (برلين، 2013، ص 28).

تلك الأسباب مجتمعة كانت مبرراً كافياً لاستدعاء سؤال القيم الأخلاقية إلى ساحة النقاش الفلسفي الراهن، استدعاء ألهم نداؤه فلاسفة ومنظمات حكومية وغير حكومية ومؤسسات ومخبر علمية ترعى إدارة النقاش وتبادل الحوار وتفعيل التوصيات ودعم وتمويل البرامج ذات الطابع الأخلاقي على كافة الأصعدة المحلية والعالمية، إيماناً منها بضرورة تخليق العالم وبرمجة تصميم مثالي له.

3. المنعطف الأخلاقي المعاصر؛ عودة أم تحول؟

أحدى أهم الاشكاليات التي طرحها المشتغلون بميدان الأخلاقيات المعاصرة في معالجتهم لظاهرة عودة الاهتمام بالقضايا الأخلاقية وتصدرها المشهد الفلسفي الراهن، هي طبيعة الخطاب الأخلاقي الجديد، هنا صيغت الاشكالية على النحو الآتي: هل هي عودة أم تجديد؟ تجديد لكنه مماثل للقديم" (Voire, Bourgeaul, 2004, p09).

هذا وليس الهدف من وراء هذا التقصي، التأريخ للفلسفة الأخلاقية الغربية بقدر ما نروم إلى: أولاً، استضاح كيفية حضور المسألة الأخلاقية داخل الفضاء الغربي المعاصر؟ ثانياً، مظاهر الحضور المكثف والاهتمام القوي بالمسألة الأخلاقية في الراهن الغربي. ثم ثالثاً، كشف وقع هذا المنعرج الأخلاقي على فلسفتنا العربية وموقعها منه باعتبار أن هنالك من ينظر إلى المسألة على أنها تقليد لا ينم عن استشكال أصيل ضمن فضاءنا الفكري العربي.

لذلك فإن معالجة الاشكال لن يكون بعرض تاريخي لنماذج وأعلام من الفكر الغربي المعاصر، وإنما الولوج إليه من باب

■ أفول الأيديولوجيات بعدما يئست الشعوب منها وفقدت ثقافتها فيها، بما في ذلك الليبرالية، فبعد أن نمت الأخيرة وعي الأفراد بالذات وبالكرامة، وبلورت حقوقهم، أمست تسلخهم عن إنسانيتهم، زراعت الشوفينية والفرسانية والحسد والحقد، فانطلق البحث عن البديل، فإذا بالاشتراكية تحمل مشعل التجديد وأمل الغد الزاهر، في المجتمع العادل المنفتح والمؤنس، فتفائل المصلحون حتى الليبراليون منهم. استبشر الجميع خيراً بالأنسقة الإصلاحية الجديدة، وعندما شرع لينين يطبق النظرية الماركسية، صفقوا لتباشير الإنقاذ العام وللثورة العالمية. لكن سرعان ما عض المصفقون الأيدي التي صفقت، لقد أفرغ ستالين الثورة الاشتراكية من روحها الإنساني. أما المشاريع الثقافية والبرامج التعليمية، كالأنظمة، جميعها في أزمة، فراغ معنوي مفرغ، حتى الثقافة تغلب عليها الشكليات والحرص على الجانب الترفيهي، إذ لا تخدم التواصل الوجداني والاستعداد للترقية من داخل الذات، لصالح مجموع الذوات، حتى العلم لم يعد لديه ما يرسمه من سبيل لسعادة الإنسان. هذا الوضع الثقافى بالذات هو ما نعته روجيه جارودي (Garudy) بـ "ثقافة الألعن": فالثقافة والأيديولوجيا التي طالما لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية، عصر الأنوار، والثورة الفرنسية، والقومية والماركسية. ذلك النمط الثقافى انسحب عن عالم اليوم، والرابطة الوحيدة التي باتت تجمع الناس اليوم هي كونهم موظفين في شركات لا غير (روجيه غارودي، 2002، ص 76). وقد عزا جورج بالاندييه (GEORGE Balandier) ذلك لفقد سمّة التعالي كأحد سمات عصر ما بعد الحداثة، فمجتمعات هذا الزمان قد هجرت بفقدانها للعلاقة بالتسامي، استعمال الملاحم والأساطير وترجمتها لأساطير قائمة للفضل (بالاندييه، 2000، ص 23).

■ تبلور نمط إنساني جديد شاذ عن كل الأنظمة والأعراف والقواعد الأخلاقية، إنسان الموضّة، الإنسان الاستهلاكي، الإنسان ذي البعد الواحد، الإنسان المجوف من كل معنى أو أيديولوجيا... وما ترتب عنه من استفحال الفرديّة والعزلة واللامبالاة والشذوذ وتنامي معدلات الإجرام والمخدرات والانتحار خاصة في صفوف الشباب منهم، وهكذا ولأوّل مرة باتت القيمة من الحياة محل مساءلة وارتياب؟. في هذا السياق لاحظ الفيلسوف اليوناني المعاصر كورنيليوس كوسترياديس أن الناس أصبحوا أكثر نقداً وأكثر ارتياباً وهو الأمر الذي يفسّر عودة الأديان والأيديولوجيات السياسية، ولئن قال أرسطو عن الإنسان أنه حيوان يرغب في المعرفة، فإن كوسترياديس رأى في الإنسان حيوان يرغب في الاعتقاد ويرغب في اليقين (الاستغراب، العدد 06، السنة 02، ص 34، 35).

■ سطوة منطق الكم على حساب الكيف كأحد مظاهر المجتمع الاستهلاكي ولجوء الشركات الاقتصادية المتنافسة لصناعة الرغبة وخلق الحاجة عبر مخابر بحثية مختصة تجيد هندسة العقول والتلاعب بالأمزجة النفسية للمستهلكين، فكما كتب جارودي يوماً أن الهدف الرئيسي من الانتاج لم

الملاحظ أنّ الأخلاق لم تغب حتى نتحدث عن عودة، بقدر ما حدث معها تحول، فالواجب استحال إلى مسؤوليّة، والأخلاق النظرية استحالت إلى أخلاق تطبيقية، وبدل الأخلاق الدينية أو العقلية بتنا نلتمس الأخلاق العلمية والبيئية، عموماً من الأخلاق الأمرية والمُلزمة إلى الأخلاق غير المؤلّمة على حدّ توصيف لبيوفتسكي؛ معلنا عن وضع قيمي لم يعد يحتكم لمقولات السعادة والفضيلة والتضحية والواجب بما هي قيم إنسانية عليا حاكمة عمّرت لدهور طوال، بقدر ما يحتكم للحد الأدنى من تلكم القيم لذا فالحل تمّ تصويره في البحث عن "أخلاق غير مؤلّمة"، بقيم محايدة وناعمة، ليست مُلزمة، يلتحفها جيل "الديمقراطية الجديدة"، ففي "عصر الديمقراطية تنتظم المجتمعات لذاتها بحسب الحد الأدنى من الأخلاق، دون التزامات ولا عقوبات" (لييوفتسكي، 2018، ص 14). كما يتساءل لبيوفتسكي عن طبيعة "التنشيط الأخلاقي" أو "النظام الأخلاقي الجديد"، وعن أيّ أخلاق يتمّ الحديث عنها بالضبط؟. يستهل جوابه بمسألة مفادها "الاعتراض على فكرة العودة إلى الأخلاق، التي يُظنّ خطأ أنّها فكرة بديهية"، مبرراً ذلك بقوله: "إنّ العصر الذي نعيش فيه لا يعيد حكم تلك الأخلاق القديمة" (المرجع نفسه، ص ص 11-13).

فالأخلاق الزاهنة هي قلب للأخلاق التقليدية دون أن تكون انقطاعاً عنها، ولا حتى سعياً لاختراف قيم أخلاقية جديدة، وإنّما هي انقلاب أو حتى تحول للقيم الجوهرية للثقافة الغربية. يؤرّخ لهذا الانقلاب والتحول الأخلاقي بموجات أخلاقية ثلاث؛ الموجة الأولى؛ تمثل مرحلة الأخلاق الدينية خلال العصور الوسطى حيث كان الإله يحتل المركز لدى العقل الغربي. والموجة الثانية؛ هي مرحلة الأخلاق العلمانية، يؤرّخ لها ما بين (1700-1950)، شهدت تحرر الأخلاق من الدين، مرتبطة بالإنذار العقلي، بمعنى انتقال الأخلاق من مصدرها الديني إلى المصدر العقلي، أو من الأمرية الدينية إلى الأمرية العقلية، انتقال الالتزامات العليا تجاه الربّ إلى دائرة الإنسان الدنيوية، جعل هذا الطور يشكل ديانة الواجب العلماني. ثمّ الموجة الثالثة؛ تمثل العتبة الثانية من العلمنة الأخلاقية، أو بالأحرى استكمالاً لمشروع علمنة الأخلاق، فهي على حدّ وصف المؤلف لها، عصر ما بعد الواجب، كمرحلة لا تكفي بجعل الأخلاق مصدراً آخر مستقلاً عن الدين، وإنّما تدويب ذلك الشكل الديني للأخلاق اجتماعياً، لتلطيها للوصايا العليا ونزعاً لمصادقيتها، بدلاً من تمجيدها (لييوفتسكي، المرجع السابق، ص ص 12-14).

من ملامح تبلور خطابات أخلاقية زاهنة تمارس ثقلها على ساحة النقاش الفلسفي نذكر؛ أخلاق البيو-ايتيقا، العمل الخيري الإعلامي، المحافظة على البيئة، النقاش حول الإجهاض والتحرش الجنسي، تخليق مجال الأعمال والإعلام والسياسة، فعلى حدّ وصفه: "القرن الحادي والعشرين سيكون أخلاقياً أولن يكون" (المرجع نفسه، ص 11).

الاستشكال الراهني الذي شهدته التجربة الغربية في مجال الأخلاق في كل لحظة من لحظاتها، وذلك في شكل لحظات مطّردة، كل لحظة تشكّل منعرجاً أخلاقياً يُعبّر عن تحول للأخلاق ضمن مسار الفكر الغربي أكثر منه عودة لها، فكيف ذلك؟

إنّ المنعطف الأخلاقي الذي نروم تقصّيه سيجري تحديده استيمياً عبر محطات ثلاث على النحو التالي: أولاً، من أخلاق السعادة الأرسطية إلى الواجب الكانطي تميزت هذه المرحلة برؤية عقلانية للفضيلة، ولعب فيها الفيلسوف دور الرهان بمعناه المسؤول والكفيل على البشرية والعالم، وهو ما جعل المبدأ الأخلاقي يُصاغ مراعاة لمبادئ أخلاقية وإنسانية مطلقة وكنية. ثانياً، مرحلة القلب الجينيولوجي المنتشوي وهنا استحال الفيلسوف إلى لاعب عبثي يراهن -بمعنى المخاطرة- بالمبادئ الأخلاقية التي ورثتها البشرية جمعاء، وذلك بتحطيم الموقف العقلاني للفضيلة وذيوع العدمية واللامعنى بدل الغائية، والنسبية بدل الشمولية، والبرجسية بدل السعادة العقلية، ذلك أنّ نتشه لم يكن موقفه استنفاياً بنائياً، وإنّما تقيميماً تفكيكياً. فالأول مرة يدخل العقل الغربي مغامرة جديدة في تساؤله عن البدايات والأصول، التي كانت قبل المنهج الجينيولوجي المنتشوي محل تسليم و يقينيات. فقد أفصح نتشه عن ضرورة مسألة أصول ما كان الإنسان يعتقد ويسلم به على أنّه يقيني، يقول: "بفضل ربيّة خاصة بي، أقرّ بها كرها لا طوعاً -إذ هي تتعلق بالأخلاق-، كان لا بد أن يتوقف فضولي وظنيّ في الوقت المناسب عن هذا السؤال: أيّ أصل هو في الحقيقة أصل الخير والشرّ لدينا؟، ليغدو المطلب الجديد في نظره: هو الحاجة الماسّة لنقد القيم الأخلاقية، وأن نضع قيمة القيم في ذاتها موضع تساؤل". ثمّ ثالثاً، مرحلة الديونطولوجيا المعاصرة (La Déontologie Contemporaine) حيث بات الرهان بمعناه الثالث أي كآفق وكفيل مستقبلي على ضرب جديد من الأخلاق ضمن ما يعرف بالأخلاق الزاهنة، وذلك في مسعى لإعادة ترتيب وتأثيث بيت الفضيلة من جديد الذي أتت عليه رياح القلب الجينيولوجي، فصيّغت مقولات أخلاقية جديدة من قبيل مبدأ المسؤولية (Le Principe Responsabilité) مع هانس يوناس (HANS Jonas) بدلياً عن أفول الواجب الكانطي (Le crépuscule du devoir kantien) بصيغته الكلاسيكية، ومقولة التواصل (Communication) مع الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (JURGEN Habermas) والاعتراف (la reconnaissance) مع مواطنه أكسل هونيث (AXEL Honneth) وحتى الضيافة (Hospitalité) مع الفرنسي جاك دريدا. كما تعددت مصادر القيم الأخلاقية؛ المصدر العلمي على نحو خاص، بدل المصادر الكلاسيكية الدين والعقل ثم المجتمع، ومن التشريع الفردي للفيلسوف إلى التشريع الجمعي (Législation Collective) لمختلف الفاعلين الاجتماعيين مؤسسات كانوا أم أفراد، ومن التعاقد الاجتماعي إلى التعاقد مع البيئة والحيوان، ومن الأخلاق العقلية النظرية إلى الأخلاق التطبيقية.

الديني أو العقلي، يتعلق الأمر بالأخلاق التطبيقية ذات المصدر العلمي والمؤسسي لمختلف المنظمات الفاعلية في ميادين السياسة والاقتصاد الإيكولوجيا والبيولوجيا وحقوق الإنسان...، بدأ هذا الحقل بالتبلور كمجال للتفكير الفلسفي القلق غداة الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي استدعى من بعض الفلاسفة على رأسهم ألبير كامو (ALBERT Camus) وسيمون ديوبوفوار (SIMONE de Beauvoir) وخائيم بارثولمان (CHAIM Perlman) إلى ضرورة التفكير في صياغة أخلاق تليق بعصرنا، خارج حدود النظريات التقليدية الكلاسيكية اعترافاً بمحدودية الجمعيات الدينية، الكنيسة في "لوم أ" على نحو خاص. فمثلاً كانت الأخلاق الطبية توكل للأهوتيين خاصة البروتستانت منهم، بيد أن زحف الليبرالية في المجتمع الأمريكي جعل النقاش ينتقل إلى فضاء منظمات أخرى غير دينية، بعدما أخذت الليبرالية على عاتقها الدفاع عن الحريات الدينية وحقوق الإنسان (A. legailt, 2003). (p267)

وفي الأخلاق التطبيقية يأخذ القانون الوضعي على عاتقه الاهتمام بالفئات الأكثر ضعفاً، وأهميتها كرهان بات يفرض نفسه لإيجاد حلول لقضايا اجتماعية التي تثار خلاف ديني حولها، من ذلك الإجهاض (l'avortement) والموت الرحيم (l'euthanasie). وذلك بعدما تبين أن الأخذ بالأسس الأخلاقية المطلقة أدى إلى استنتاجات غير قابلة للحل ولا يمكن التوفيق بينها.

لذلك كان من مهام الأخلاق التطبيقية: إنشاء لجان أخلاقية توكل إليها مناقشة مثل تلك القضايا. وخلافاً للأعراف السياسية، فإن تلك اللجان هي من تحقق مثلاً في عدد السكان لمعرفة رأي الأغلبية منهم والتي ستأخذ الدولة فيما بعد برأيهم لتقنين الأخلاقيات الطبية. أيضاً، تجمع تلك اللجان مختلف الفاعلين الاجتماعيين على اختلاف أديانهم وأعرافهم وجنسياتهم لإيجاد "حل مقبو" ولو على اختلاف "الأسس المطلقة" (ibid. p268).

2.4. مبدأ المسؤولية (Principe de responsabilité): لما كان من مقتضيات "النسخ القيمي" أن القيم الجديدة تأتي على قيم الموروث الديني والعقلي، فتنسجها، لتحل محلها قيماً جديدة، فإن مقولته "الواجب" الكانطية على رأس القيم التي جرى نسجها. هذا التجاوز عبر عنه ليبوفتسكي بمقولة تنشوية راديكالية وهي "الأقول"، دلالة منه على اكتمال اللحظة الكانطية ذروتها، بحيث لم تعد تحظى بقبول المجتمعات "مابعد التخليقية" التي لا تأخذ من القيم إلا الحد الأدنى بعيداً عن لغة الإلزام الأخلاقي. فكتابه "أقول الواجب يعد" فاتحة لثقافة "ما بعد الواجب" (culture de l'après devoir) "يقول في كتابه هذا عن سمات تلك الثقافة: "ثقافة ما بعد الواجب بلغت فيها القيم درجة الصفر، فقد اعتبر كوستورياديس (Costoriadis) 1922-1997 أن الإيمان المشترك بماهية

من انعكاسات ذلك أيضاً، إيديولوجيا التقني التي طوّعت كل شيء لقيم التبادل والانتاج والاستهلاك خاصة الإنتاج الذي يطغى أكثر فأكثر على ميادين الحياة؛ فالحب حين يصبح أفلاماً إباحية وحوانيت جنس ووكالات زواج يصبح إنتاجاً، وكذلك فقد أخذ النقاد يحكمون على العمل الأدبي لا بعبارات العمق والجدة بل بعبارات الإنتاج (زيناتي، 1993، ص 77). الأمر الذي جعل مدرسة فرانكفورت تعلن عن سقوط آخر قلاع الصمود الفني أمام موجة العقلانية الأداة للأنوار التي استحالت بموجها الثقافة والفن إلى (2) سلع خاضعة لقيم التبادل والاستهلاك، ف "الأعمال الفنية بمتناول الجميع تماماً كالحداق العامة" (هوركهايمر وأدورنو، 2006، ص 188، 189).

كذلك الانتقال من أخلاق الرغبة في البقاء (الحق والعدل) التي تم تشريعها على تصور الحالة الطبيعية مع التقليد الأنجلوساكسوني (هوبس- لوك)، إلى الرغبة في الاعتراف. لتنتقل بعدها من إدارة الأخلاق للفضاء الاجتماعي إلى إدارة الأخلاق لربوع الكوني، نموذج ذلك حقوق الإنسان، إذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يمثل لحظة أصبح فيها الإنسان مشدوداً للكونية التي تتحقق فيه، هذا الإنسان أصبح معترفاً به كونياً من خلال قاعدة من حقوق الإنسان (الكباص، 2009، ص 08، 09).

من جهته حاول الفيلسوف الألماني إزيا برلن (ISAIAH Berlin) رصد سيرورة التحول القيمي تلك عبر عاملي القدم والحداثة، حيث أن النظام الأخلاقي القديم الذي يمتد من العهد الإغريقي إلى العصور الوسطى، اتسم بثلاثة افتراضات قبلية جعلت الجواب عن أسئلة القيم الكبرى أمراً مقبولاً وممكناً، الافتراضات الثلاث تلك: جميع أسئلة القيم يمكن الإجابة عنها بموضوعية. يمكن للبشر من حيث المبدأ التوصل إلى جميع الحقائق الكلية. القيم الحقيقية لا يمكن أن تتعارض وتتصارع مع بعضها البعض (برلن، المرجع السابق، ص 220). مصير تلك الافتراضات أنها لم تعمر طويلاً خاصة مع الربع الأول من القرن التاسع عشر إذ بدأت معالم صورة ذهنية جديدة بالتبلور، أكثر قوة واستحوذاً على العقل الأوربي، هي صورة الفرد البطل المشرع، الذي يفرض إرادته على الطبيعة والمجتمع البشري (المرجع نفسه، صفحة نفسها).

4. نماذج من النظريات الأخلاقية الراهنة: من الاسهامات الأخلاقية التي جاءت كردة فعل عن الوضع المتأزم مُحاولت بسط منظومة قيمة تتناسب وطبيعة الأزمت الأخلاقية الراهنة نذكر: الأخلاق التطبيقية كبديل عن الأخلاق الميتافيزيقية، ومبدأ المسؤولية كبديل عن أخلاقيات الواجب، بصيغتها الكانطية خاصة، ثم الأخلاق العالمية.

1.4. الأخلاق التطبيقية (Éthique Appliquée): من ملامح "النسخ القيمي" الموروث عن الحداثة تبلور فضاء أخلاقي جديد يختلف في مصدره عن الأخلاق الكلاسيكية ذات التشريعيين

أما الحال مع منظر المسؤولية هانس يونس فقد عمل على صياغة قواعد لأخلاقيات المسؤولية تأخذ الصيغ الآتية:

- أحب للآخرين ما تحبه لنفسك.
- عامل الآخرين على نحو ما تحب أن يعاملوك هم به.
- ينبغي عليك إرشاد طفلك إلى طريق الحقيقة.
- ابحث عن الكمال بتطوير وتحقيق كامل جهودك بما تمثله ذاتك كإنسان.
- اجعل رفاهك الشخصي في الحياة في رعاية الصالح العام.
- لا تعامل الآخرين كمجرد وسائل وإنما عاملهم كغايات (Jonas, 1990, p 28).
- فيما ابتدر البعض إلى وضع مبادئ أخرى بمثابة بنود عريضة موجهة لممارسة المسؤوليات الإنسانية تتداخل فيها الأبعاد السياسية والإنسانية والأخلاقية والمعرفية، هي؛
- معا لدينا المسؤولية في احترام حقوق الإنسان وحمايتها بأساليبنا الفكرية والعملية.
- كرامة كل شخص تلزم عليه المساهمة في حرية الآخرين وكرامتهم.
- التأكيد على أن لكل شخص الفرصة وكامل الإمكانيات لتحقيق مبدأ المسؤولية، يشمل ذلك الاحتياجات المادية والمعنوية والالتزام بدعم الصالح العام.
- السلام الدائم لا يكون دون توقع الحرية والعدالة والمصالحة التي تحترم كرامة وحقوق الإنسان.
- ينبغي دعم وتطوير استخدام الموارد الطبيعية لتلبية احتياجات الإنسان والسعي لتحقيق الرخاء، وهذا عن طريق الالتزام بمبدأ "الحيطة" على نحو استباقي لحماية البيئة وإدارة واعية للتنوع البيئي والتفاسم المنصف للثروة.
- تحقيق الإمكانيات الكاملة من المعرفة والوعي لتقييم الأنظمة المعرفية المختلفة ووضعها في خدمة التضامن الجماعي والتعدد الثقالي السلمي.
- حرية البحث العلمي تعني احترام المعايير الأخلاقية من قبيل تعزيز التنوع البيولوجي واحترام كرامة الحياة البشرية والأشكال الأخرى غير البشرية، مع تقبل حدود المعرفة البشرية.
- الممارسة الخلاقة للسلطة الشرعية، ومسؤولية خدمة السلطة للصالح العام.
- عند اتخاذ قرارات بشأن أولويات قصيرة المدى، فإنه وفي هذه الحال وجب تقييم العواقب على المدى الطويل-درء مفسدة أولى من جلب مصلحة- بما يتفق والأولويات الأخلاقية كالعادلة وحماية البيئة بين الأجيال والأخذ بعين الاعتبار كل المخاطر والشكوك.

الخير والشر بات مفقودا وبات يمكنك فعل كل شيء دون محاسبته، ليعلم بودريار فيما بعد أن المجتمع المعاصر استحال إلى نظام دون معالم وكل القيم تدور وتتغير في حلقة لا نهاية لها. أو آلان بلوم (ALLAN Bloom) حينما أعلن أنه لم نعد قادرين عن التكلم والإقناع عن ما هو خير وما هو شر، ويكتب آخرون عن أزمة في القيم، حتى الوسط الثقالي بات شغوفاً بسيناريو العدمية" (Lipovetsky, 1992, p 150).

أقول الواجب على هذا النحو وبهذه الصورة المروعة (Tableau apocalyptique) على حد تعبير لبيوفتسكي سبب فراغا قيميا رهيبا، من معالم ذلك الفراغ؛ الصراع الأخلاقي حول موضوع الإجهاض، والجدل على خلفية أخلاقيات البيو-إتقيا، واحد من أصل أربعة أوربي لديه تصور واضح عن التمييز بين قيمتي الخير والشر، موت الإله، ضياع الإيمان بالأيديولوجيات العالمية وذبوع الفردانية، الجرائم الدموية، العبودية، القسوة والسرقة والإهانة، والتشويه الجنسي، والاعتصاب، والإهانة الجماعية... (ibid, p151)، زيادة على "تبيع (Liquéfier) الأخلاق مع انفجار الأطر التقليدية الأسرية والدينية، وأزمة الغيتو (Ghettos) (3)، وانتشار المخدرات، وزيادة معايير الليبيرالية" (ibid, p152).

إن تطبيق العمل بالقيم التقليدية هو ما ولد نزوعا للبحث عن مبدأ أخلاقي جامع مقبول، والذي سيتوج فيما بعد بمبدأ المسؤولية، وكونه جامعا لا يعني أنه سلطة إلزامية، إذ هذا لم يعد ممكنا مع ثقافة ما بعد الواجب، بل هو جامع ومقبول من منطلق أنه يجد له مكانا في الضمير والحس البشري العام.

هذا وحقيقة الاعتراف العالمي بمبدأ المسؤولية عززته اتفاقيتان دوليتان؛ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يعنى بالدفاع عن كرامة وحقوق الإنسان. وميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي وضع الخطوط العريضة للسلام والتنمية. لكن على حداثة هاتين الاتفاقيتين، زيادة على المتغيرات أو بالأحرى التقلبات المتسارعة التي يشهدها عالم اليوم، وضعت تحديات متراكمة أمام مبدأ المسؤولية، خاصة مشكلات البيئة، وحماية ثروات الأجيال القادمة-التنمية المستدامة- لذا "ينبغي كشف أبعاد جديدة لمبدأ المسؤولية تكون متكاملة مع الاتفاقيات السابقة لمواجهة التحديات الحالية والمستقبلية لبقاء على قيد الحياة. فمفهوم المسؤولية يُقترح كقيمة أخلاقية تعزز الحقوق والسلام، ويشكل رؤية للعلاقات المتبادلة في العالم ضمنا لاستدامة هذا الكوكب والناس" (Sizoo .op. cit 319,320).

من المهم ها هنا التذكير بمكانة العامل الزمني وأهميته بأبعاده الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل، إذ لا تنطبق المسؤوليات على أعمال الحاضر أو المستقبل حصرا، وإنما أعمال الماضي أيضا، وذلك من خلال الاعتراف بالأعباء والأضرار الناجمة عن العمل الإنساني في القديم، في مسعى للمصالحة، وإجراء لبعض الإصلاحات المناسبة والممكنة، الأمر الذي جعل العمل بمبدأ المسؤولية يتطلب تواضعا كبيرا، وفضانة أو حسن تقدير" (ibid, p 321).

الليبرالية والديمقراطية، إذ "الفيلسوف الذي يبحث عن نظرية أخلاقية عامة في العصر الحديث، حتماً سيجد وضعيات جد صعبة، فالعالم الحديث أضحى مسرحاً للثورات الأخلاقية، سيجد غياباً لكل الأطر الأخلاقية التقليدية الأسرية والاجتماعية والدينية وكذا تقسيماتها المعهودة، كأخلاق النبلاء، وأخلاق رجال الدين، والنظام الأبوي القائم على سلطة الرجل على المرأة، والنظام الأخلاقي المستقر والموحد، في مقابل تبلور قيم جديدة من قبيل الحرية، المساواة، الديمقراطية، التقدم التكنولوجي، وزيادة الغنى المادي" (Métayer, op. cit. p16).

ذات الموقف نلتهمه عند الفيلسوفة المعاصرة مونيك كانتو سبير بير في حوار لها مع مجلة "العلوم الإنسانية" الفرنسية في عددها 69 - 1997 في إجابة منها عن سؤال: "هل هدف فلسفة الأخلاق هو صياغة مبادئ للفعل تكون كونية وتطبق على فاعل أخلاقي تجريدي من ثقافتها وعصرها؟" أعقبت بالتصريح: "ليس هناك إجماع عند الفلاسفة في هذا الموضوع، فكرة أنه توجد نواة لإكراهات/ اشتراطات أخلاقية كونية تنتمي إلى التقاليد الكانطية التي لا تمثل إلا فترة من الفكر الأخلاقي. الفلسفة الأخلاقية في مجموعها والكثير من التيارات المعاصرة تعارض هذه الفكرة لأسباب مختلفة". وعن أسباب الاعتراض تستطرد قائلة: "البعض يعتقد بأن المفاهيم الأخلاقية محددة داخل الثقافة وأن الإكراهات ليست وليدة المنطق العملي مباشرة، لكنها تأتي من محيط اجتماعي وثقافي. لكن ذلك لا ينزع عنها طابعها الأمري/ الإلزامي داخل المجموعة المعنية. وينتقد فلاسفة آخرون الكونية الكانطية لتجاهلها إلى أي مدى تتعلق هذه الإكراهات الأخلاقية بالقدرات النفسية الإنسانية" (سبير بير، 2009، ص 288).

إن الطابع العالمي للأزمة هو ما جعل الأخلاق العالمية قبلة لعدد من الفلاسفة الحاليين، فالفرنسي إدغار موران كان قد أشار في كتابه "المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل" إلى ما وسمه بـ "تعليم الهوية الأرضية (Enseigner l'identité terrienne)"، مفاد ذلك ضرورة إدراج في البرامج التعليمية المصير الكوكبي البشري الذي لم يكن كوكبياً حتى العصر الحالي، لذا التعريف بالهوية الأرضية ينبغي أن يكون أحد أهداف التعليم الضرورية التي ينبغي أن نراهن عليها (Morin, 1999, 02). طبعاً لا يقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل ينبغي أيضاً تعليم "أخلاق الجنس البشري (l'éthique du genre humain)" وهو ما وسّم به الفصل السابع من ذات الكتاب، يكون ذلك بـ "ترسيخ الأخلاق في العقول، بتوعية الإنسان على أنه فرد وجزء من مجتمع، وجزء من جنس، فكل واحد فينا يحمل في ذاته هذا الواقع الثلاثي وليس ذلك لمجرد الوعي بالأرض - الوطن (Terre-Patrie) (وطن الأسلاف) بل وترجمة هذا الوعي إلى إرادة هدفها تحقيق المواطنة الأرضية" (ibid. p04).

- من أجل مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية فإنه من الضروري التوفيق بين العمل التضامني والخصوصيات الثقافية (Sizoo, op. cit 323, 324).

هذا وأخلاق "المسؤولية لا تتوقف فقط عند الدفع بالمبدأ الأخلاقي على المستوى الفردي، بل العكس من ذلك، تتصل بدعم المواطن للهوية الاجتماعية - أي الاجتماع البشري - لذلك تهدف هذه المبادرة من ميثاق مسؤوليات الإنسان إلى تعميق القيم الكامنة وراء هذه الهوية الكوكبية" (ibid. p326).

3.4. الأخلاق العالمية والمواطنة الكونية (Citoyenneté Planétaire)

تأتي الأخلاق العالمية على خلاف الأخلاق الاجتماعية، وهو اختلاف قد يصل إلى حد التعارض أحياناً، فالأولى -العالمية- تمثل مجموعة من القيم الموجهة للناس كافة دون استثناء ودون اعتبار لانتمائهم الديني أو العرقي أو الجنسي أو الطبقي أو الوطني. أما القيم الاجتماعية فهي مجموعة القيم المقسمة على مجموعات اجتماعية معينة، تختلف باختلاف ثقافتهم وأعرافهم، وظيفتها الأساسية ضمان الارتباط الداخلي بين الجماعات البشرية (Métayer, 1997, p41).

أهم نموذج عن الأخلاق العالمية وأكثره حضوراً في التاريخ الفلسفي الحديث نذكر الواجب الكانطي بصيغته الكلاسيكية، إذ أراد به كانط أن يكون قانوناً كلياً وشاملاً (Globale). لولا أن هنالك صعوبتان على الأقل تعترض التشريع لأخلاق عالمية في عصر التحول القيمي، وذلك بعد الذي شهدته الساحة الفلسفية عادة القلب الجينيولوجي، واستفحل بموت السرديات الكبرى في ما بعد الحداثة كمرحلتين هزتا دعائم الأسس المطلقة؛ الصعوبة الأولى تلك التي قال بها ميشال ماير (M. Meyer) وترتبط أساساً بالفردانية، حيث وصفها بالمعضلة غير القابلة للحل، تتمثل تلك المعضلة في كيفية التوفيق بين مصالح ورغبات ومشاعر الأشخاص من جانب، والواجب الأخلاقي الذي يفرض على هؤلاء الامتثال للمعايير التي يراد لها أن تكون كلية؟ وحتى قمع كل ما يميزنا على وجه الخصوص لتحقيق قوانين عالمية دون اعتبار للأفراد (Meyer, 2013, p15)، لذلك يعد "من الصعب أن نقرر موقفاً في وسط التعارض القائم بين قيم الفردانية والقيم العالمية إلا في عالم مثالي" (Ibid. p19).

في حين أن المعضلة الثانية تتعلق بالتعددية الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى اعتبارات أخلاقية أخرى، من قبيل تفكك الأطر الأخلاقية التقليدية، إلا أن ما يتبادر إلى الأذهان ونحن نتحدث عن القيم العالمية، هو الحديث عن الدور الذي قد يلعبه الفيلسوف في ظل هكذا تحولات جذرية إن بقي له من دور طبعاً!؟.

من الملاحظ أن من ملامح ثقافة مابعد الواجب هي تغييب الفيلسوف من التشريع الأخلاقي الشامل وذلك في ثقافة استفحلت فيها قيم الفردانية والنجسية والنسبية الأخلاقية وقيم

حضاريا تنويريا ضد بربرية وظلامية العصور الوسطى- الفاعل الرئيس في الأزمة الأخلاقية الراهنة، وذلك بفعل مبادئها المؤسسة كمبدأ العقلانية الذي فرض كبديل استراتيجي عن حقيقة الإله المشرع والمحكم والمراقب، إذ التشريع بات تحت سلطة الإنسان المؤله، والتحكم تحت سلطة المنهج العلمي، والمراقبة في يد التكنولوجيا المعاصرة. مثل ذلك الانزياح والقلب في الترتاب من اللاهوتي إلى النাসوتي تسبب في آفات أخلاقية جمّة؛ فأسطورة تحرير الإنسان من سطوة الطبيعة استحال إلى سيطرة ندية للإنسان ليس على الطبيعة فقط وإنما على الإنسان ذاته، جعل الحداثة تهين الإنسان متى أرادت كرامته. كما استحال مطلب الحرية إلى تحرر من كل إلزام، ليس دينيا أو أخلاقيا فحسب، بل كل إلزام اجتماعي أو إنساني، تسبب في وضع اجتماعي وأخلاقي غير معهود، من قبيل اكتساح قيم الفردانية والترجسية وقيم الاستهلاك... كل ذلك بفعل العقلانية الأداتية التي وسّلت كل شيء، عالم الأشياء وحتى الإنسان، قاطعة الطريق أمام كل أفق غائي للوجود. هنالك أبتلي الإنسان المعاصر بزلزلة طموحاته وقيمه، حينها، تبلورت مطالب المراجعة والتقويم، مراجعة مبادئ المشروع الحداثي وتقويم تطبيقاته، فارتدى البعض في أحضان أخلاق المسؤولية على نحو ما تقرّر عند هانس يونس، أو ايتيقا النقاش والتواصل مع يورغن هابرماس، أو الاعتراف كما هو الحال عند مواطنه آكسل هونث، أو التأسيس لأخلاق عالمية عند هانس كينغ، وقد تم تفعيل ذلك كله عبر مجالات ثلاث؛ هي رد الاعتبار للميتافيزيقا والمقدس، ورد الاعتبار للعلوم الإنسانية، ورد الاعتبار للبعد الاستيطيقي- الجمالي، لماذا تلك المجالات الثلاث؟ ببساطة لأنها تتفق كلها على رد الاعتبار للمعنى. والهدف من كل ذلك أنّ أنصارها أردوا لها أن تكون شواملا لهوامل، أي جمعا لما تفرق، ورأبا لما تصدع، وإصلاحا لما فسد.

غير أنّ الحقيقة اللامفكر فيها من وراء هذا الاستدعاء، والتحول من نمط الأخلاق الكلاسيكية التي كان يقرها الفلاسفة والتي كانت تأخذ طابعا أمريا وشموليا، وانتقالها إلى الأخلاق التطبيقية، جعلت تقلص من فرص حضور الفيلسوف ودوره الكلاسيكي المعهود في العالم، فالأخيرة- الأخلاق التطبيقية- هي من وضع اللجان المختصة (اللجان المختصة بالأخلاقيات الطبية مثلا) وكذلك المؤسسات والمنظمات غير الحكومية (كمنظمات حقوق الإنسان أو منظمات الدفاع عن البيئة)، والتي في الغالب تصدر في شكل قوانين رديعية لا مبادئ أخلاقية، بله وقد يجري استغلالها في حالات غير استثنائية سياسيا ضد دول العالم الثالث، وهكذا نلاحظ انتقال الدور من الفيلسوف الذي لم يكن دوره في السابق يقل عن دور الأنبياء إلى دور المؤسسات والمنظمات واللجان والجمعيات، وهو ما يرهن الجوهر الأخلاقي لتلك الأخلاقيات؟

كذلك محاولة الفيلسوف واللاهوتي السويسري هانس كينغ (HANS Küng) في وضع أخلاق عالمية، ظهرت مبادرته تلك عام 1990 في كتابه "المسؤولية العالمية"، دعا فيه كل الأديان في العالم إلى تقديم ما هو مشترك بينها من قيم أخلاقية لصياغتها في قالب عالمي عبر إجماع بشأن القيم الملزمة، والمعايير المحكّمة، وأنماط السلوك المحددة.

تحت شعار:

"لا سلام بين الأمم بدون سلام بين الأديان

ولا سلام بين الأديان دون حوار بين الأديان

ولا حوار بين الأديان بدون مقاييس أخلاقية عالمية

ولا إنقاذ للككرة الأرضية بدون أخلاق عالمية"

(التسامح، 2007، العدد 18، ص 37).

الهدف من ذلك كما أخبر عنه هانس كينغ هو "أن يعيش الناس والأمم والثقافات معا والعمل معا من أجل عالم أكثر عدلا وأمانا". يستند هذا المشروع على مبدئين، أحدهما نظري والآخر عملي؛ أمّا النظري فهو مبدأ الإنسانية مفاده: كل كائن بشري يجب أن يعامل بإنسانية، أي دون النظر إلى عرقه أو لونه أو لغته أو امكاناته. أما المبدأ العملي قوامه قاعدة التكافؤ أو التبادل، وتعد القاعدة الذهنية للتعایش بين الناس مفادها "ما لا ترغب أن يعاملك به الآخرون عليك أن لا تحاوله مع الآخرين".

ذيتك المبدئين يغطيان أربع اتجاهات في شتى مجالات ووجوه الحياة والعيش:

- الالتزام بثقافة اللأعنف واحترام الحياة.

- الالتزام بثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل.

- الالتزام بثقافة التسامح وحياة الحقيقة والثقة.

- الالتزام بثقافة الحقوق المتساوية والشراكة بين الرجال والنساء (السابق، ص 37، 38).

5. خاتمة

عرفنا في هذا المقال مظاهر أزمة العالم المعاصر، حيث أخذت مظاهرها في الغالب أبعادا أربعة؛ البعد الاقتصادي والاجتماعي (عدم المساواة والفساد)، البعد الإيكولوجي أو أزمة حضارة (تعرض النظام البيئي للخطر والتشكيك الذي طال العلاقة بين الطبيعة والإنسان كأحد مخلفات الحداثة الغربية وأسس العلم الحديث)، البعد الجيو-سياسي (مع نهاية الهيمنة الأمريكية وتبلور قوى جديدة)، البعد الإيديولوجي (وذلك مع تبلور النزعات المعادية للأجانب وتفشي العنصرية)، وهي في الأساس تعود إلى "المشروع الحداثي الغربي"، وذلك باتفاق غالبية الفلاسفة- نستثنى الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس الذي رافع لأجل المشروع الحداثي واعتبره مكسبا

تضارب المصالح

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

ثانياً: بالفرنسية

- EDGAR. Morin. (1990). les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur. France. UNESCO.
- EDITH. Sizoo. Responsabilité et cultures du monde. Dialogue autour d'un défi collectif Paris: Éditions Charles Léopold Mayer.
- GEORGE. A. legailt. (2003). Professionnalisme et délibération éthique: Manuel d'aide à la décision responsables. Canada: Presses de l'Université du Québec.
- GILLES. Lipovetsky. (1992). Le crépuscule de devoir. Paris: Gallimard.
- GRELLIER. Isabelle. (1994). Vers un réenchantement du monde?. (1994). N°43. In: Autres Temps. Cahiers d'éthique sociale et politique.
- GUS. Massiah. (2014). N°43. PREMIER SEMESTRE. Pour une démarche convivialiste: Sortir du néolibéralisme. Du convivialisme comme volonté et comme espérance. SREVUE DU MAUSS. Paris
- MARC. Humbert: Une indispensable offensive intellectuelle collective. Du convivialisme comme volonté et comme espérance.
- GUY. Bourgeault. Éthiques Dit et non-dit. contredit. interdit. (2004). Canada: Presses de l'Université du Québec.
- HANS. Jonas. Le principe responsabilité. (1990). Trad. Gean Greisch. Paris: Cerf.
- MICHEL. Métayer. (1997). La philosophie éthique : Enjeux et débat actuels. Québec : Edition du Renouveau Pédagogique.
- MICHEL. Meyer. (2013). Principia Moralia. France: fayard.
- PAUL. Ricœur. (2004). Parcours de la reconnaissance: trois études. Paris: Gallimard.

(1) تعود أخلاقيات الاعتراف لأحد رواد الجيل الثالث من مدرسة فرانكفورت أكسل هونيث، ومبدأ الاعتراف يتمرر عبر مستويات ثلاث؛ المستوى الأول يتموضع ضمن العلاقات العاطفية والصدقية والعائلة، أي بين المجموعات القليلة ذات الرابطة العاطفية القوي، يشكل الاعتراف هنا مبدأ قلوباً يتم بموجبه تبادل الحاجيات بين عناصر تلك المجموعة، كموجودات كل منها يحتاج الآخر. المستوى الثاني، تتوسع فيه دائرة الاعتراف حيث يخرج عن كونه علاقة عاطفية إلى مطلب اجتماعي يرتبط بالمكانة الاجتماعية للأفراد. ثم المستوى الأخير يضع في الاعتراف إلى الممارسات السياسية بين الأمم.

PAUL, Ricœur. Parcours de la reconnaissance: trois études, Gallimard, 2004, PP 297-315.

(3) وهو المعزل يشير إلى منطقة يعيش فيها، طوعاً أو كرهاً، مجموعة من السكان يعتبرهم أغلبية الناس خلفية لعرقية معينة أو لثقافة معينة أو لدين. أصل الكلمة يعود للإشارة إلى حي اليهود في المدينة، مثل الغيتو في مركز مدينة روما. يشار إلى الغيتو في الدول العربية بـ "حارة اليهود". أما الغيتو المقصود به في هذا النص هي الأحياء الفقيرة الموجودة في المناطق المدنية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع

أولاً: بالعربية

- إزبا، برلن. (2013). ضلع الإنسانية الأعوج: فصول في تاريخ الأفكار، تر: محمد الزاهي المغيري ونجيب الحصادي. القاهرة: المركز القومي لترجمة.
- جورج، بالاندييه. (2000). في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين - التيه - تر: حسن ابراهيم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- جورج، زيناتي. (1993). رحلات داخل الفلسفة الغربية، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
- جيل، لبيوفتسكي. (2018). أفول الواجب: الأخلاق غير المؤلفة للأزمة الديمقراطية الجديدة، تر: البشير عصام المراكشي، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.
- روجيه، غارودي. (2002). حفارو القبور (الطبعة الثالثة). تر: عزة صبحي، القاهرة: دار الشروق.
- شفاتر، مان. (1986). الأخلاق البرجوازية في العصر الحاضر: الوهم والحقيقة، تر: محمود شعبان، دمشق: مطبعة ابن خلدون.
- بومسهولي، عبد العزيز. (2009). نهاية الأخلاق أو الانعطاف نحو المبدأ الايتيقي المحايث، المغرب: الحرف للنشر والتوزيع: المغرب.
- كورنيليوس، كوسترياديس. (2017). ارتقاء التفاهة سمّة العالم، مجلة الاستغراب، العدد 06، السنة 02، بيروت.
- ماكس، هوركايمر و تيودور، أدورنو. (2006). جدل التنوير، تر: جورج كتوره، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مونيك، كانتو سبير بير. (2009). العودة إلى فلسفة الأخلاق. في جون فرانسوا ليوتار (مشرّف)، فلسفة عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها، قضاياها، تر: ابراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
- هانس، كينغ. (2007). لماذا الأخلاق العالمية كسبيل مشترك بين الإنسانية؟، مجلة التسامح، العدد 18، مسقط: سلطنة عمان.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف حيدر العايب (2022)، الفلسفة ورفع التحديات الأخلاقية المعاصرة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات: 195-203.